عليكم بالقرآن

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
قسم الثقافة والإعلام
الشؤون الفكرية والثقافية
٨١

عليكم بالقرآن

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ
سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ

سورة - الحجر - ٨٧

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عِوَجا.. قيِّمًا ليُنذر بأسا شديدًا من لدنه ويُبشرَ المؤمنينَ الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجرًا حسنًا، والصلاة والسلام على من نزل عليه القرآن في ليلة هي خير من ألف شهر، محمد المصطفى وعلى آله الراسخين في العلم الذين هم عِدل الكتاب، الميامين الأطياب..

ونحن إذ نعيش شهر رمضان المبارك شهر القرآن الكريم لا بد أن نتزود من نفحات كتاب الله العزيز الذي قال فيه رسول الله ﷺ في فضل قراءته في هذا الشهر: «ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشّهور»، وللقرآن الكريم كرامة وفضلا يجب الالتفات إليه، حيث قال الإمام علي عليه السلام في صفة القرآن: «جعله الله ريا لعطش العلماء، وربيعا لقلوب الفقهاء، ومحاج لطرق الصلحاء، ودواء ليس بعده داء، ونورا ليس معه ظلمة»[1] وقال عليه السلام: «إن الله سبحانه لم يعظ أحدا بمثل

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠ / ١٩٩

هـذا القرآن، فإنه حبل الله المتين وسـببه الأمين، وفيه ربيع القلـب، وينابع العلم، وما للقلـب جلاء غيره»[1] وقال عليه السلام: «الله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم»، فالقرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الـذي لا يكـذب وكل هـذه الأحاديث تلقي علينا مسـؤولية وعلـى كل مؤمن ومؤمنة وهي ملازمـة القرآن الكريم تلاوة وتعلّما وتطبيقا.

(١) نهـج البلاغة: الخطبة ١٧٦، شـرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠ / ٣١

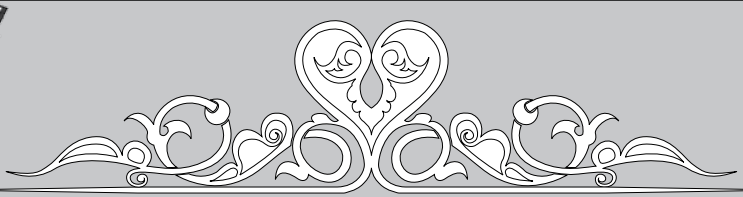

توطئة

إن وجـود النـبي ﷺ وجـود مرشـد هـاد داع إلى الله مغيراً لأحـوال الناس من حال إلى حـال.. وذلك لأن أغلب الناس يحتـاج إلى من يدلهـم على الحقيقة للوصـول إليها وذلك لاختـلاف القدرة الإدراكية عند النـاس فنعمة وجود النبي ﷺ بـين النـاس هو الانتقـال مـن الكفر إلى الإيمـان، هذا بالنسـبة لمـن عـاش ردحـاً مـن حياته علـى الكفـر، وأما أن يكون الإنسـان مؤمنـاً من أول أمره- وهم مـن القلة بحيث لا تنظر- فيكون هادياً مرشداً له يزيده هداية من خلال ما يعلمه ويبيّنه له، وأما الخط العام الذي اتخذه النبي ﷺ في الإرشاد والهداية والدعوة فيتمثل في بعدين؛ الأول الإنذار، والثاني البشارة لأنهما وسيلتان لتهيئة الأفراد لقبول دعوة الحـق والامتثـال لها، وعند تهيئة هـذه الأرضية تبدأ الأمة بالتحـرك حركـة إيجابيـة لتقبل قوانين وقواعد الشـريعة المقدسـة المتمثلة بالقرآن والسنة الشـريفة المحفوظة عند أهلها المنصوص عليهم.

ولما كان النبي يمتلك رؤية واسـعة واضحة لما سـيتمخض في المسـتقبل من تحركات لأفراد خارجة عن الإسلام تحارب

الإسلام وتطرح الشبهات على تابعيه، أو من تحركات لفئات أظهرت الإسلام وأبطنت الكفر – وهم المنافقين- تُدخل في الإسلام ما ليس منه بتعمدها الكذب على الله ورسوله، وتزييف الحقائق وتحريف ما ثبت من الصحيح، حذّر النبي ﷺ الأمة وهو قائدها من حبائل هؤلاء، وجعل لهم مسنداً عليه يتّكون، وملاذاً إليه يلجئون، وهو القرآن، والخطبة التي سنوردها عليك هي محور هذا البحث، وهي إحدى الخطب التي حذر فيها رسول الله ﷺ أمته من هاتين الفئتين وكيف يمكن صدها والرد عليها، هذا من جانب ومن جانب آخر أرشد ﷺ الأمة على ما في القرآن من آثار دنيوية وأخروية اهتماماً منه وحرصاً على أمته حتى تبلغ ما يرجوه لها، على أن الخطبة المباركة تشير إلى كيفية التعامل مع القرآن وكيفية الأخذ منه، موضحين ذلك بالاستشهاد بأقوال المعصومين عليهم السلام وآراء العلماء، وقد قسمنا الخطبة إلى أقسام.

راجين من الله العفو الغفور أن يسامحنا على التقصير والقصور، وأن يتقبل منا هذا القليل.

الخطبة

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيها الناس إنكم في دار هدنة، وأنتم على ظهر سفر والسير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، فأعدوا الجهاز لبعد المجاز.

قال: فقام المقداد بن الأسود، فقال: يا رسول الله وما دار الهدنة؟ قال: دار بلاغ وانقطاع، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، وما حل مصدق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق له نجوم وعلى نجومه نجوم لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليجل جال بصره وليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب ويتخلص من

نشب فإن التفكر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص»[1]

شافع مشفع

شفاعة القرآن من الحقائق التي لا شك فيها حيث وردت أحاديث عن طريق الخاصة والعامة تثبت هذا المعنى وبعض الأحاديث يصرح بأن كتاب الله العزيز يتمثل ويتجسد بصورة ملك من الملائكة أو بصورة إنسان في يوم القيامة ويكلم الخلائق المحشورة المكلفة به من الجن والإنس، وقد يكون هذا المعنى المطروح صعب التصور على البعض، وصعب التصديق آخرين ولكن لما علمنا وتيقنا بالنبوة وصدق الأنبياء عليهم السلام فيكون كل ما يخرج منهم حق وكما صرّح القرآن بذلك قال تعالى:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[2].

ولبيان هذا المعنى بصورة أخرى نقول إن لكل علم ميدانه

(١) الكافي ج٢ ص٥٩٩

(٢) النجم/آية٣-٤.

الـذي يثبت به صحـة نظرياته المطروحـة، وقاعدته المتينة الـتي تكـون معيـاراً عاماً لصـدق مايطـرح أو كذبـه فمثلاً في الميادين التجريبية من الطب والهندسة والفيزياء والكيمياء وغيرها من العلوم التجريبية يحكم على صحة النظرية أو سقمها من خلال النتائج، فلو قال الكيميائي أن المادة الكذائية والمادة الكذائية إن اجتمعتا سوف تنتج مادة فيها مواصفات معينة، فيكون ا لجواب له إن صدق أو كذب ما تقول يتوقف على نتائج التجربة، هذا في ميدان التجربة، ولو أن المؤرخ قال: أن المعركة الكذائية وقعت سنة كذا أو يذكر وفاة رجل أو ولادته فيقال له ما الدليل على كلامك فسيقول دليلنا المصادر التأريخية التي وثقت الحوادث وهذه الأدلة يطلق عليها نفس الأمر والواقع، وعليه فإن صدق كلام الكيميائي يحتاج في إثباته إلى الواقع الخارجي، وصدق كلام المؤرخ هو الوثائق التأريخية، ومن ملاحظة ماتقدم نقول إن نفس صدور الكلام من النبي صلى الله عليه وآله أو من أوصيائه عليهم السلام عدل القرآن المنصوص عليهم في شفاعة القرآن أو التجسد والتمثل في يوم الحشر هو دليل على وقوعه.

روى الشيخ الكليني في الكافي: علي بن محمد، عن علي بن العباس، عن الحسين بن عبد الرحمن، عن سفيان الحريري[1]، عن أبيه، عن سعد الخفاف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا سعد تعلموا القرآن فإن القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق والناس صفوف عشرون ومائة ألف صف، ثمانون ألف صف أمة محمد وأربعون ألف صف من سائر الأمم فيأتي على صف المسلمين في صورة رجل فيسلم فينظرون إليه ثم يقولون: لا إله إلا الله الحليم الكريم إن هذا الرجل من المسلمين نعرفه بنعته وصفته غير أنه كان أشد اجتهادا منا في القرآن فمن هناك أعطي من البهاء وا لجمال والنور ما لم نعطه ثم يجاوز حتى يأتي على صف الشهداء فينظرون إليه [الشهداء] ثم يقولون: لا إله إلا الله الرب الرحيم إن هذا الرجل من الشهداء نعرفه بسمته[2] وصفته غير أنه من شهداء البحر فمن هناك أعطي من البهاء والفضل ما لم نعطه، قال: فيتجاوز حتى يأتي [على] صف شهداء البحر في صورة شهيد فينظر إليه شهداء البحر فيكثر تعجبهم يقولون:

(١) في بعض النسخ [صفوان الحريري].

(٢) السمت: الطريق ويستعار لهيئة أهل الخير

إن هـذا مـن شـهداء البحر نعرفه بسـمته وصفتـه غير أن ا لجزيـرة الـتي أصيب فيهـا كانت أعظم هولا مـن ا لجزيرة الـتي أصبنـا فيهـا فمن هناك أعطـي من البهـاء وا لجمال والنـور مـا لم نعطـه، ثم يجـاوز حتـى يأتي صـف النبيين والمرسـلين في صورة نبي مرسـل فينظر النبيون والمرسـلون إليه فيشـتد لذلك تعجبهم ويقولون: لا إله إلا الله الحليم الكريم إن هذا النبي مرسـل نعرفه بسـمته وصفته غير أنه أعطي فضلا كثيرا، قال: فيجتمعون فيأتون رسـول الله ﷺ فيسـألونه ويقولون: يا محمد من هـذا؟ فيقول لهم: أو ما تعرفونه؟ فيقولون ما نعرفه هذا ممن لم يغضب الله عليه، فيقول رسـول الله ﷺ: هذا حجة الله على خلقه فيسلم ثم يجـاوز حتى يأتي علـى صف الملائكة في سـورة ملك مقرب فتنظـر إليه الملائكة فيشـتد تعجبهم ويكبر ذلك عليهم لما رأوا مـن فضلـه ويقولون: تعالى ربنا وتقـدس إن هذا العبد من الملائكة نعرفه بسمته وصفته غير أنه كان أقرب الملائكة إلى الله عز وجل مقاما فمن هناك ألبس من النور وا لجمال مـا لم نلبـس، ثـم يجاوز حتـى ينتهي إلى رب العـزة تبارك وتعالى فيخر تحت العرش فيناديه تبارك وتعالى يا حجتي في الأرض وكلامي الصادق الناطق ارفع رأسـك وسـل تعط

واشفع تشفع فيرفع رأسه فيقول الله تبارك وتعالى: كيف رأيت عبادي؟ فيقول: يا رب منهم من صانني وحافظ علي ولم يضيع شيئا ومنهم من ضيعني واستخف بحقي وكذب بي وأنا حجتك على جميع خلقك ، فيقول الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لأثيبن عليك اليوم أحسن الثواب ولأعاقبن عليك اليوم أليم العقاب قال : فيرجع[1] القرآن رأسه في صورة أخرى ، قال : فقلت له : يا أبا جعفر في أي صورة يرجع ؟ قال : في صورة رجل شاحب متغير يبصره أهل ا لجمع[2] فيأتي الرجل من شيعتنا الذي كان يعرفه ويجادل به أهل الخلاف فيقوم بين يديه فيقول: ما تعرفني؟ فينظر إليه الرجل فيقول: ما أعرفك يا عبد الله، قال: فيرجع في صورته التي كانت في الخلق الأول و يقول: ما تعرفني ؟ فيقول : نعم ، فيقول القرآن: أنا الذي أسهرت ليلك وأنصبت عيشك سمعت الأذى ورجمت بالقول في، ألا وإن كل تاجر قد استوفى تجارته وأنا وراءك اليوم، قال: فينطلق به إلى رب العزة تبارك وتعالى فيقول:

(١) في بعض النسخ [فيرفع]

(٢) {شحب لونه كمنع ونصر وكرم وعمى : تغير من هزال أو جوع أو سفر وفى بعض النسخ [شاحب متغير ينكره أهل الجمع]

يا رب يا رب عبدك وأنت أعلم به قد كان نصبا بي[1]، مواظبا علي، يعادى بسببي ويحب في ويبغض ، فيقول الله عز وجل: أدخلوا عبدي جنتي واكسوه حلة من حلل الجنة وتوجوه بتاج، فإذا فعل به ذلك عرض على القرآن فيقال له: هل رضيت بما صنع بوليك؟ فيقول: يا رب إني أستقل هذا له فزده مزيد الخير كله، فيقول: وعزتي وجلالي وعلوي وارتفاع مكاني لأنحلن له اليوم خمسة أشياء مع المزيد له ولمن كان بمنزلته، ألا أنهم شباب لا يهرمون وأصحاء لا يسقمون وأغنياء لا يفتقرون وفرحون لا يحزنون وأحياء لا يموتون. ثم تلا هذه الآية" لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى" قال قلت: جعلت فداك يا أبا جعفر وهل يتكلم القرآن فتبسم ثم قال : رحم الله الضعفاء من شيعتنا إنهم أهل تسليم ثم قال: نعم يا سعد والصلاة تتكلم ولها صورة وخلق تأمر وتنهى، قال سعد: فتغير لذلك لوني وقلت، هذا شيء لا أستطيع [أنا] أتكلم به في الناس فقال أبو جعفر: وهل الناس إلا شيعتنا فمن لم يعرف الصلاة فقد أنكر حقنا ثم قال: يا سعد أسمعك كلام القرآن؟ قال سعد : فقلت: بلى «صلى الله عليك»، فقال: " إن الصلاة تنهى عن

(١) في بعض النسخ ليفي] ونصب الرجل بالكسر: نصبا: تعب وأنصبه غيره

الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر" فالنهي كلام والفحشاء والمنكر رجال ونحن ذكر الله ونحن أكبر.[1] وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول ما أعرفك! فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول ما أعرفك! فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسي والداه حلتين، لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان بم كسينا هذه؟ فيقال بأخذ ولدكما القرآن! ثم يقال له: اقرأ واصعد في درجة الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلا[2]

هذه بعض المرويات في شفاعة القرآن وتجسده، وتكون الشفاعة على ما يظهر من بعض الروايات على فرض ثبوت صدورها عن المعصوم هي قرائته والعمل على وفقه وهذه الحالة هي أكمل درجات التطابق وهو المراد الأكيد

(١) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - ص ٥٩٦ - ٥٩٨

(٢) مسند أحمد ج٥ ص ٣٤٨\

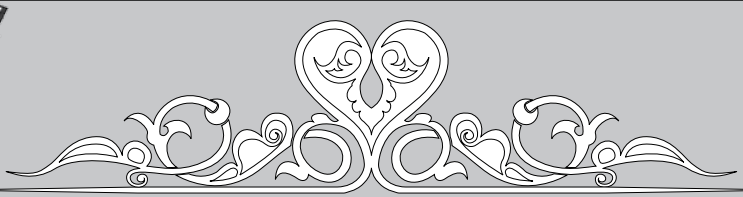

للباري تبارك وتعالى باعتباره الدستور الإلهي الذي يوصل الإنسانية إلى أعلى مراتب الكمال، وبتحكيم مناهجه تتخلص البشرية من جميع مشاكلها وتصل إلى قمة السعادة.

ويشفع القرآن للذين نهلوا معتقدهم منه ولم يسقطوا أمام التحديات ولم يخافوا من نتائج المواجهة بينهم وبين أعداء القرآن فنصروا الدعوة بتلبس المبادىء ظاهراً وباطناً وتحركوا في الحياة حركة واعية واستنفروا كل طاقاتهم بدعم خط الرسالات لم يخافوا الكثرة ولم يخشوا الجبابرة ولم يعيروا اهتماماً للمستهزئين، وكيف يرتدعوا من هؤلاء؟ وهم مملوؤن ثقة بنجاحهم لأن ما عنده مد إلهي ولا نتوهم بأن هذا المستوى من المؤمنين يشفع لهم القرآن بأخراجهم من النار وإدخالهم الجنة والعياذ بالله وإنما يشفع لهم بعلو الدرجات،روى الشيخ الكليني عن أبي علي الأشعري، عن محمد بن سالم، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: يجيئ القرآن يوم القيامة في أحسن منظور إليه صورة فيمر بالمسلمين فيقولون: هذا الرجل

منا فيجاوزهم إلى النبيين فيقولون: هو منا فيجاوزهم إلى الملائكة المقربين فيقولون: هو منا حتى ينتهي إلى رب العزة عز وجل فيقول: يا رب فلان بن فلان أظمأت هواجره وأسهرت ليله في دار الدنيا وفلان بن فلان لم أظمأ هواجره ولم أسهر ليله، فيقول تبارك وتعالى: أدخلهم الجنة على منازلهم فيقوم فيتبعونه، فيقول للمؤمن : اقرأ وارق قال: فيقرأ ويرقى حتى يبلغ كل رجل منهم منزلة التي هي له فينزلها.[1] ومن عجيب مواقف القرآن في الشفاعة ما رواه يونس بن عمار عن الإمام الصادق عليه السلام: قال يونس بن عمار: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الدواوين يوم القيامة ثلاثة: ديوان فيه النعم وديوان فيه الحسنات وديوان فيه السيئات، فيقابل بين ديوان النعم وديوان الحسنات فتستغرق النعم عامة الحسنات ويبقى ديوان السيئات فيدعى بابن آدم المؤمن للحساب فيتقدم القرآن أمامه في أحسن صورة فيقول: يا رب أنا القرآن وهذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتي ويطيل ليله بترتيلي وتفيض عيناه إذا تهجد فأرضه كما أرضاني قال: فيقول العزيز الجبار: عبدي ابسط يمينك فيملأها من رضوان الله العزيز الجبار

(١) الكافي ج ٢ - ص ٦٠١ - ٦٠٢

ويملأ شماله من رحمة الله، ثم يقال: هذه الجنة مباحة لك فاقرأ واصعد فإذا قرأ آية صعد درجة.[1]

ماحل مصدق:

الماحل مأخوذ من قول العرب محل فلان بفلان أي سعى به إلى السلطان وعرضه إلى أمر يهلكه.

وهذا هو حال القرآن الآخر في يوم القيامة وصفته مصدق لا يحتاج إلى أدلة إثبات لقوله فكلما يقوله القرآن يُحكم به ومن خلاله، فمن ترك العمل به ندم على إسائته وثبت عليه قول القرآن فيما يرفع عليه من المساوىء ويكون محلاً للتوبيخ والخزي والعذاب قال الإمام الصادق عليه السلام: إذا جمع الله عز وجل الأولين والآخرين إذا هُم بشخص قد أقبل لم ير قط أحسن صورة منه فإذا نظر إليه المؤمنون وهو القرآن قالوا: هذا منا، هذا أحسن شيء رأينا فإذا انتهى إليهم جازهم، ثم ينظر إليه الشهداء حتى إذا انتهى إلى آخرهم جازهم فيقولون: هذا القرآن، فيجوزهم

(١) الكافي ج ٢-ص٦٠٢

كلهم حتى إذا انتهى إلى المرسلين فيقولون: هذا القرآن، فيجوزهم حتى ينتهي إلى الملائكة فيقولون: هذا القرآن فيجوزهم [ثم ينتهي] حتى يقف عن يمين العرش فيقول الجبار: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لأكرمن اليوم من أكرمك ولأهينن من أهانك.[1]

وقد مر بنا في حديث الإمام الباقر عليه السلام السابق وكيفية تجاوز القرآن كل الصفوف حتى ينتهي إلى رب العزة حيث يخر تحت العرش ثم يناديه المولى جل جلاله يا حجتي في الأرض وكلامي الصادق الناطق ارفع رأسك وسل تعطَ وفي تلك الحال يشفع فيُشفع في الخلق ثم يشتكي لله سبحانه وتعالى بشكوى ليت المشتكى عليه لم تلده أمه، فيقول في شكواه: يا رب منهم من ضيعني واستخف بحقي وكذب بي وأنا حجتك على جميع خلقك، فيأتي النداء الإلهي من القادر الجبار: وعزتي وجلالي وارتفاعي في مكاني: ولأعاقبن عليك أليم العقاب، هذا الوعيد يكون على زمر من الخلائق يحشرون بصور شتى، وكأن أهل المحشر سألوا: ما فعل هؤلاء؟ فيجاب:

(١) الكافي - ج ٢ - ص ٦٠٢

لقد هجـروا القرآن الذي أنزله الله على عبده لينذرهم و يبصرهم، جاء ليكـون منهاج حياة يقودها إلى أقوم طريق، هجـروه ولم يتدبـروه ليدركـوا الحـق من خلالـه، و يجدوا الهـدي على نـوره، و هجـروه فلم يجعلـوه دسـتور حياتهم هجـروا سماعـه والإيمـان به، هجـروا العمل بـه و إن كانوا متخذيه شكلاً ولكنهم هجروا تحكيمه و التحاكم إليه.

كل أولئـك يشـتكيهم القرآن إلى ربـه وإن ربه ليعلم وكما أنـه لم يأل جهداً في الدفاع عن أحبائه لا يدخر جهداً على أعدائه، فهم تركوه في الدنيا وهو اليوم تاركهم.

ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة:

في هذه الجملة إخبار تأكيدي من الرسول الأكرم ﷺ إن من اعتقد القرآن وعمل به وقدّمه في كل مجالات الحياة ليكون دليلاً له في أحكامه وسلوكياته وفي عطائه ومنعه وفي علاقاته وكيفية بناءها وعلى أي أساس ينبغي أن تكون ويجد ويجتهد بالتقيّد بشرائعه حلاله وحرامه فسيكون جزائه جنات الخلد ويجد النعيم المقيم والراحة الكبرى من عناء الدنيا وأحزانها وينزل المقام اللائق به قال تعالى:

﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١).

فإن من جاءه الهدى على لسان النبي الأكرم ﷺ واتبعه فقد نجى وابتعد الحزن عنه والخوف يوم القيامة وإن من استمسك بالشرائع التي أتى بها الرسل، و رعى ما يحكم العقل بصحته بعد النظر في الأدلة التي في الآفاق والأنفس فهو من المهتدين بهدى الله لا يخاف مما هو آت، و لا يحزن على ما فات فإن الأصل عنده مرضاة الله، وإن من سلك سبيل الهدى سهل عليه كل ما أصابه أو فقده،

(١) البقرة/ آية ٣٨.

لأنه موقن بأن الصبر والتسليم مما يرضى ربه، و يوجب المثوبة، فالآتي له خير عوض عما فاته، وأفضل عزاء عما فقده بل لايمكن توقع عظم النتيجة بما قدمه فما قدمه يسير وا لجزاء عظيم

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللهِ وَمَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾ (١).

فمثله مثل العامل الذي يكدّ و يسعى تنسيه لذة ما در عليه العمل الألم وا لجهد الذي بذله، وإن العاقل من تمثلت له نتائج أفعاله وتصور ما لها من تأثير فاتخذ سبيلاً لطمأنينة النفس في الدنيا والفوز بالسعادة في الآخرة، قال محمد بن عبد الله الخراساني «خادم الإمام الرضا »: إن رجلاً من الزنادقة دخل على أبي الحسن الرضا عليه السلام وعند الإمام جماعة فقال الإمام عليه السلام: أيها الرجل أرأيت إن كان القول قولكم -وليس هو كما تقولون-، ألسنا وإياكم شرعاً سواء لا يضرنا ما صلينا وصمنا وزكينا وأقررنا، فسكت الرجل ثم قال أبو الحسن عليه السلام: وإن كان القول - وهو كما نقول - ألستم قد هلكتم ونجونا؟ فقال الرجل: رحمك الله أوجدني (٢)،(٣).

(١) آل عمران الآية ١٩٨

(٢) (من الإيجاد بمعنى الإفادة)

(٣) انظر توحيد الصدوق ص٢٥١.

في هذه الحادثة يبين الإمام عليه السلام أن الإنسان عليه أن يحتاط بأفعاله لو فقد الدليل ويتحرز من الوقوع في الخطأ سواء كان على مستوى العقيدة أو على مستوى السلوك، وهو بكلامه عليه السلام للرجل الذي كان زنديقاً يقول إن لم يكن وجود للعالم الآخر ولم يكن هنالك جنة ولا نار ولم يكن ثواب أو عقاب، وإن وجودنا في هذا العالم وجود أتى بطريق الصدفة حسب تعبير الحديث فإن الصلاة والصيام ومساعدة الفقراء لم تضرّنا بل فيها منفعة بدنية واجتماعية وإن كان القول قول الإلهيين فأنتم أي الزنادقة خسرتم ونحن ربحنا، وعليه فإن العاقل من يحسب للأشياء اليسيرة حساباً فكيف به والأمر عظيم، على أن ما جاء به القرآن ودلت عليه الأدلة العقلية في صدق دعوة الأنبياء كافياً لمسترشد طريق الحق، ولا نريد الإطالة في بيان أحقية الإسلام في شريعته فهذا مما تكلف به علم الكلام والعقائد وبثت فيه الكتب الأدلة الكثيرة وساق العلماء وبذلوا جهداً واضحاً في إثباته، وعليه ينبغي للعاقل أن يسترشد بالناصح الذي لا يغش والهادي الذي لا يضل، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل،

والمحدث الذي لا يكذب».

وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان في عمى. واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لأوائكم، فإن فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلال. فاسألوا الله به، وتوجهوا إليه بحبه، ولا تسألوا به خلقه إنه ما توجه العباد إلى الله بمثله»[1] وهذا النوع من الخلائق يُساقون الجنة زمراً، أما كيف يساقون الجنة فقد أخبرنا القرآن ذلك:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[2].

إسراعا بهم إلى دار الكرامة راكبين على تفاوت مراتبهم في الشّرف و علوّ الطّبقة و إن لهم حينئذ من الكرامة و التّعظيم ما لا يحيط به الوصف، يسيرون إلى الجنة يحف بهم ملائكة الرحمة تعظيماً لهم، ويحيونهم تكريماً،

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ٩١

(٢) الزمر الآية ٧٣

وإن أبـواب الجنـة تفتح لهـم قبل مجيئهم وخـزان الجنان منتظـرون يتشـوقون إلى رؤيتهـم ويبشـرونهم البشـارة العظيمة، بشـارة الأمن والسـلام لا يمسـكم بعد هذا لغوب ولا يعتريكـم بعد مكروه وقد طيبكم الله وطهركم من دنس المعاصي.

قـال علي بـن إبراهيم القمي حدثني أبـي عن محمد بن أبـي عمـير عن عبـد الله بن شـريك العامري عـن أبي عبد الله[الصـادق] عليه السلام قـال: سـأل علـي عليه السلام رسـول الله صلى الله عليه وآله عن تفسـير قولـه: يوم نحشـر المتقـين إلى الرحمن وفـدا قال: يـا علـي إن الوفـد لا يكـون إلا ركبانـا أولئـك رجـال اتقوا الله فأحبهـم الله واختصهـم ورضي أعمالهم فسـماهم الله المتقـين ثم قال: يا علي أما والذي فلق الحبة وبرأ النسـمة انهم ليخرجون من قبورهم وبياض وجوههم كبياض الثلج عليهـم ثيـاب بياضهـا كبياض اللـبن عليهم نعـال الذهب شراكها من لؤلؤ يتلألأ.

وفي حديث آخر قال: إن الملائكة لتستقبلهم بنوق من نوق الجنـة عليها رحائل الذهب مكللة بالدر والياقوت وجلالها الإسـتبرق والسـندس وخطامها جـدل الأرجـوان وأزمتها

من زبرجد فتطير بهم إلى المحشر، مع كل رجل منهم ألف ملك من قدامه وعن يمينه وعن شماله يزفونهم زفا حتى ينتهوا بهم إلى باب الجنة الأعظم وعلى باب الجنة شجرة، الورقة منها يستظل تحتها مائة ألف من الناس وعن يمين الشجرة عين مطهرة مزكية فيسقون منها شربة فيطهر الله قلوبهم من الحسد ويسقط عن أبشارهم الشعر وذلك قوله: وسقاهم ربهم شرابا طهورا من تلك العين المطهرة ثم يرجعون إلى عين أخرى عن يسار الشجرة فيغتسلون منها وهي عين الحياة فلا يموتون أبدا ثم يوقف بهم قدام العرش وقد سلموا من الآفات والاسقام والحر والبرد أبدا، قال: فيقول الجبار للملائكة الذين معهم احشروا أوليائي إلى الجنة ولا تقفوهم مع الخلائق فقد سبق رضائي عنهم ووجبت رحمتي لهم فكيف أريد أن أوقفهم مع أصحاب الحسنات والسيئات فتسوقهم الملائكة إلى الجنة فإذا انتهوا إلى باب الجنة الأعظم ضربوا الملائكة الحلقة ضربة فتصر صريرا فيبلغ صوت صريرها كل حوراء خلقها الله وأعدها لأوليائه فيتباشرن إذا سمعن صرير الحلقة ويقول بعضهن لبعض قد جاءنا أولياء الله فيفتح لهم الباب فيدخلون الجنة فيشرف عليهم أزواجهم من الحور العين والآدميين فيقلن مرحبا بكم فما كان أشد شوقنا إليكم، ويقول لهن

أولياء الله مثل ذلك، فقال علي عليه السلام: من هؤلاء يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وآله: يا علي هؤلاء شيعتك وشيعتنا المخلصون «لولايتك» وأنت إمامهم وهو قول الله: يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا.[1]

ومن جعله خلفه ساقه إلى النار:

وهم الفئة الثانية من الذين بلغتهم الحجة ولم ينصاعوا فكذبوه أما اعتقاداً مثل الكفار الكتابيين فإنهم جحدوا بآيات الله مع ظهورها عندهم و قيام الحجة عليهم، فإن من اليهود والنصارى من قامت عند الحجة بأحقية الإسلام و لكنهم لم ينصاعوا إلى الحق قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾[2].

وقد نزل القرآن بالتصريح بإخلادهم في النار حيث قال

(١)تفسيرعلي بن أبراهيم القمي ج٢ ص٥٣-٥٤

(٢) العنكبوت الآية ٤٧،

تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَ رُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللهِ وَ رُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً، أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (١).

والكفار غير الكتابيين

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (٢)

وقسم آخر غير هذين القسمين وهم من أظهر الإسلام وأبطن الكفر و هم المنافقون قال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (٣)

كل أولئك كذبوا القرآن على مستوى الإعتقاد، وأما على

(١) النساء الآية ١٥٠-١٥١

(٢) المؤمنون الآية ١١٧

(٣) النساء الآية - ١٤٥

مستوى العمل فهم الذين تركوا التحاكم إلى الكتب الإلهية وسيدها القرآن الكريم قال تعالى:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١)

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ (٢)

وقد وصفت الآية السابعة والأربعون من سورة العنكبوت بأن الجاحد لايكون إلا من الكافرين وفي هذه الآية تبين أن الجاحد من الظالمين ولا فرق إلا أن الآية الأولى أشارت إلى جانب الاعتقاد فهم اختاروا الشرك والكفر ولم يعيروا الأدلة المطروحة إهتمام واستمروا على نهجهم تقليداً وأسلافهم ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ (٣)،

(١) المائدة الآية – ٤٤،

(٢) العنكبوت - الآية - ٤٩

(٣) الزخرف الآية - ٢٣

أما الآية الثانية فهي تشير إلى جانب العمل فإنهم اختاروا طريقاً غير طريق القرآن وخطه الكامل لأنه لاينسجم مع منافعهم و مصالحهم فظلموا بذلك أنفسهم ومجتمعهم، وهؤلاء بأصنافهم يحشرون ويساقون إلى النار قال تعالى:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(١)

هذه الصورة التي يُساقون بها يدفعهم ملائكة غلاظ شداد يعنفونهم أيما تعنيف، تسوقهم الزبانية بالعنف و الإهانة والتوبيخ، كما يساق الأسارى والخارجون على السلطان مقيدين بالأغلال وتعلوهم الذلة والهوان، فتسوقهم الزبانية إلى جهنم -التي قد جمعت كل عذاب، وحضرها كل شقاء، وزال عنها كل سرور- أفواجاً متفرقة بعضها إثر بعض حسب ترتب طبقاتهم في الضلال والإضلال ويتّضح بصورة جلية من خلال نص الآية، أن أبواب جهنم كانت مغلقة قبل سوق أولئك الكفرة فتُفتح

(١) الزمر/الآية ٧١

أبوابها السبعة أمامهم، وهذا الحدث المفاجئ يوجد رعباً شديداً ووحشة كبيرة في قلوب الكافرين، فيسألهم الملائكة الموكلون بجهنم سؤالاً على وجه التهجين لفعلهم و الإنكار عليهم ويستفهمونهم

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ (١)

أي رسلاً أمثالكم من البشر يقرءون عليكم حجج ربكم و ما يدلكم على معرفته و وجوب عبادته، ولأنهم واجهوا الحقيقة الحاسمة التي لا مجال فيها لاعتذار أو تبرير فيجيبونهم وهم بمنتهى الحسرة والندم، بلى قد أتانا رسل من ربنا فأنذرونا و أقاموا الحجج و البراهين، و لكنا كذبناهم و خالفناهم، فعدلنا بسوء اختيارنا عن الحق إلى الباطل، و فعلنا الشر دون الخير، و عبدنا ما لا يضر و لا ينفع، و تركنا عبادة الواحد القهار، ولكن ماذا يفيد هذا الاعتراف بعد؟!

فإذا دخلوا النار ورأوا نكالها وعذابها وأهوالها وعلموا أن هذا العذاب لايخفف ولايرفع قال الإمام علي بن

(١) الزمر/ آية ٧١.

الحسين عليه السلام : ما ظنك بنار لا تبقي على من تضرع إليها، و لا تقدر على التخفيف عمن خشع لها، و استسلم إليها، تلقى سكانها بأحر ما لديها من أليم النكال و شديد الوبال، يعرفون أن أهل ا لجنة في ثواب عظيم و نعيم مقيم، فيؤملون أن يطعموهم أو يسقوهم ليخفف عنهم بعض العذاب الأليم، كما قال الله جل جلاله في كتابه العزيز:

﴿وَنادى أَصْحابُ النّارِ أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمّا رَزَقَكُمُ اللّهُ﴾

قال: فيحبس عنهم ا لجواب أربعين سنة ثم يجيبونهم بلسان الاحتقار و التهوين: ﴿إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ﴾ .

ولشدة العذاب ودوامه يتمنى أهل النار الموت فيطلبون ذلك من خازن النار

﴿وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ قالَ إِنَّكُمْ مّاكِثُونَ﴾ (١)

ولكن أنى لهم ذلك فلا طلب يُجاب ولا دعاء يُسمع، فا لجواب الثابت عليهم ﴿إِنَّكُمْ مّاكِثُونَ﴾ .

(١) الزخرف الآية ٧٧

عن عمرو بن ثابت عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: إن أهل النار يتعاوون فيها كما يتعاوى الكلاب والذئاب مما يلقون من ألم العذاب، ما ظنك - يا عمرو - بقوم لا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها ، عطاش فيها جياع، كليلة أبصارهم، صم بكم عمي، مسودة وجوههم، خاسئين فيها نادمين، مغضوب عليهم فلا يرحمون، ومن العذاب لا يخفف عنهم، وفي النار يسجرون، ومن الحميم يشربون، ومن الزقوم يأكلون، وبكلاليب النار يخطمون، وبالمقامع يضربون، والملائكة الغلاظ الشداد لا يرحمون ، فهم في النار يسحبون على وجوههم، ومع الشيطين يقرنون، وفي الأنكال والأغلال يصفدون، إن دعوا لم يستجب لهم، وإن سألوا حاجة لم تقض لهم، هذه حال من دخل النار.[1]

وقال علي بن إبراهيم القمي: حدثني أبي عن محمد بن أبي عمير عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له يا بن رسول الله خوفني فإن قلبي قد قسا فقال : يا أبا محمد استعد للحياة الطويلة فإن جبرائيل جاء إلى

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٦٥١

رسـول الله ﷺ وهـو قاطـب وقـد كان قبل ذلك يجـيء وهو مبتسم فقال رسول اللهﷺ: يا جبرئيل جئتني اليوم قاطبا ؟ فقال: يا محمد قد وضعت منافخ النار، فقال: وما منافخ النار يا جبرئيل؟ فقال: يا محمد إن الله عز وجل أمر بالنار فنفـخ عليهـا ألف عام حتـى ابيضت ونفـخ عليها ألف عام حتـى احمرت ثـم نفخ عليها ألـف عام حتى اسـودت، فهي سـوداء مظلمـة لو أن قطرة مـن الضريع قطرت في شـراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها ولو أن حلقة من السلسـلة التي طولها سـبعون ذراعا وضعت على الدنيا لذابت الدنيا مـن حرها، ولو أن سـربالا من سـرابيل أهل النـار علق بين السـماء والأرض لمـات أهل الأرض من ريحـه ووهجه، فبكى رسـول الله ﷺ وبكـى جبرئيل فبعـث الله إليهما ملكا فقال لهما:إن ربكما يقرؤكما السـلام ويقول قد آمنتكما أن تذنبا ذنبا أعذبكما عليه، فقال أبو عبد الله عليه السلام : فما رأى رسـول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل مبتسما بعد ذلك ثم قال: إن أهـل النار يعظمون النار وإن أهل ا لجنة يعظمون ا لجنة والنعيم وإن أهل جهنم إذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عامـا فإذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامـع الحديد وأعيدوا في دركهـا هـذه حالهم وهو قـول الله عز وجل: " كلمـا أرادوا أن

يخرجوا منها . . إلخ " ثم تبدل جلودهم جلودا غير ا لجلود التي كانت عليهم فقال أبو عبد الله عليه السلام حسبك يا أبا محمد؟ قلت حسبي حسبي .[1]

وهو الدليل على خير سبيل:

إن أحكام الإسلام الاجتماعية والاقتصادية ونظمه الحكمية والمالية مع أهله ومع غيرهم أداة في قمة الكمال والإحكام في صلاح البشر كلهم، بحيث يجزم كل عارف منصف أنه لا وسيلة لإنقاذ البشر من المشاكل الواقعة، والتي ستقع، إلا باللجوء إليه والاستظلال بظله الظليل، فهو المحتوي على العدل والرحمة والخير، المتنوع للبشر، المتضمن السعادة والكرامة لبني آدم، المانع من الظلم، والمتتبع لمنهجه يعلم علم اليقين أنه ليس مستمداً من الأعراف والأنظمة الوضعية للخلق وقوانينهم الناقصة الضئيلة ، وليس له حاجة إلى شيء منها، بل إن كل الأنظمة في أشد الحاجة إلى الاستمداد منه، فإنه تنزيل

(١) تفسير القمي ج ٢ - ص ٨١

العزيز العليم الحكيم العالم بأحوال العباد، ظاهرها وباطنها، المحيط بهم وبما يصلحهم وينفعهم، وما يفسدهم ويضرهم، وجدير بالمسلم الصحيح ، بل بكل مفكر من البشر أن يصرف عنايته إلى فهم القرآن ، واستيضاح أسراره ، واقتباس أنواره ، لأنه الكتاب الذي يضمن الصلاح، ويتكفل السعادة قال تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (١)

وهذه الآية فيها دعوى صريحة يسجلها القرآن، وملخص هذه الدعوى أن الإسلام هو خير الطرق الموصلة إلى السعادة وسبيله خير السبل، والدليل على صدق هذه الدعوى وصحتها هو القرآن بعقيدته وسائر تعاليمه فهو الذي أصل العدل والإيمان والأخلاق ورفع الظلم والكفر والفساد وهذه الحقيقة ثابتة لا مراء فيها ولا جدال لكل من قرأ سيرة الرسول الأعظم ﷺ.

إن القرآن طريق الموازنة والاستقامة بين خصائص

(١) الإسراء الآية ٩

الإنسان وعناصر الحياة فلا يعلو فيه جانب على جانب، فيه تتوازن قوى الإنسان، وهو لم يصرف الإنسان إلى جانب الروح وحياة الرهبنة، ولا تمسك بجانب البدن وأنزل الإنسان من مقداره الذي قدره الله له فأوصله إلى مستوى البهيمية، بل وافق بين هذه وهذه وأكد على القيم النبيلة، ودفع الإنسان للتحلي بها وفي نفس الوقت لم يتحرك بالحياة الفردية للإنسان بأسلوب يسيء إلى الحياة الاجتماعية العامة، ولم يلغ الهوية الشخصية للإنسان في إطار التنظيم الاجتماعي.

إن القرآن هو ما قرره الله تبارك وتعالى للمكلفين فيه نظام يسوده العدل، وهو المنهج الكامل المستقل في أصوله وفروعه، ومن رحمة الله على المكلفين به أن جعل عليه أدلاء إليه يرشدون، فإذا عرفه الخلق وفهموه وطبقوا أحكامه على الواقع صلحت أمورهم، فإنه كفيل بكل خير لهم، وإن ساورك الشك في ذلك فانظر إلى أحكامه، حكما حكما، وسل رعاته يُجيبوك و ينبئوك، سواء في سياسة الحكم والمال والحقوق والدماء والحدود، أو في الروابط بين الخلق تجد أحكامه هي الغاية، التي لو اجتمعت عقول الخلق على أن

يقترحوا أحسن منها أو مثلها تعذر عليهم واستحال.

وللتأكيد نقول ما هو ليس بخاف على ذي لب أن من الخلق من أراد أن يعارضه ولو بجزء منه لكن سقط ما في يديه فانهزم، وقد تحدى القرآن كل هؤلاء المنكرين وا لجاحدين أن يأتوا بسورة من مثله، تعجيزاً لهم، ودليلاً واضحاً على أصالة هذا الوحي السماوي، ولأجل أن يؤكد هذا التحدي دعاهم أن لا يقوموا بهذا العمل منفردين قال تعالى:

﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١)،

ودعاهم للاجتماع حتى يأتوا مثله كأنه أباح لهم أن يدعوا لمعاونتهم و مساعدتهم في بلوغ غايتهم كل من يستطيعون دعوته سوى الله، ولكنهم لا يستطيعون ذلك

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٢)

(١) البقرة/ آية ٢٣.

(٢) الإسراء/ آية ٢٣.

فمن المحال ذلك، والشواهد مستمرة فإن كل الأنظمة في عصرنا الحاضر والعصور الفائتة حاولت وتحاول إيجاد نظام كامل وتكرس له كل الجهود والطاقات من أجل إيجاده، لكن المحاولات كلها باءت بالفشل، بل إنهم لم يستطيعوا إيجاد جزء من نظام سواء كان اقتصادياً أو اجتماعياً أو غير ذلك، وللمزيد نقول إن كل قانون شُرع وفيه فائدة للبشرية تجد أصوله من القرآن.

وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل:

في هذه الجملة من الخطبة المباركة للنبي الأكرم ﷺ يخبرنا وهو الصادق أن هذا الكتاب السماوي فيه التفصيل لكل ما يحتاج إلى معرفته البشر وهو ما أخبرنا به رب العزة تبارك وتعالى بقوله:

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١)

(١) يونس الآية ٣٧

وعطف ﷺ في وصف القرآن أن فيه بيان وهو قوله تعالى:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (١)

وإذا كان القرآن فيه التفصيل والبيان والتحصيل لمن أراد يتوجب علينا الاعتقاد بأن القرآن ليس فيه موضع يُشك به بأي شكل من الأشكال، فهو الكامل من جميع الجهات ولا يوصف بنقص فيكون معيباً ولا يتوهم متوهم بالتحريف قال الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٢)

ويعني هذا أن لا أحد يستطيع أن يُحدث في القرآن تبديلا أو تغييراً لا في لفظه ولا في أحكامه فهو المصون من رب العالمين عن أغراض اعدائه الضالين المضلين.

عن مرازم عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إن الله

(١) النحل الآية ٨٩

(٢) الأنعام الآية ١١٥

تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن؟ إلا وقد أنزله الله فيه.[1]

وعن عمر بن قيس، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : سمعته يقول: إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً يحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله صلى الله عليه وآله وجعل لكل شيء حداً وجعل عليه دليلاً يدل عليه، وجعل على من تعدى ذلك الحد حداً.[2]

وعن سليمان بن هارون قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: ما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلا وله حد كحد الدار، فما كان من الطريق فهو من الطريق، وما كان من الدار فهو من الدار حتى أرش الخدش فما سواه، وا لجلدة ونصف ا لجلدة .[3]

فالقرآن مع قلة لفظه وصغر حجمه مشتملاً على جميع ما كان وما هو كائن ، وما يكون إلى يوم القيامة.

---

(١) الكافي ج ١ - ص ٥٩

(٢) الكافي ج ١ - ص ٥٩

(٣) الكافي ج ١ - ص ٥٩

وهو الفصل ليس بالهزل:

أشار سيد الكائنات ﷺ إلى جلالة قدر القرآن الكريم وعلو رتبته وشأنه بهذا الوصف لما احتواه من إرشادات وبيانات لمسيرة حياة الإنسان من أول نشوئه إلى منتهاه، أو من مبتدئه ومعاشه ومعاده الذي هو نهاية المطاف، فهو المنهج لمراحل وجود الإنسان في العوالم المختلفة.. إن كتاباً أخبر عن أول الوجود للكائنات

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (١)

وأوضح أن نهاية المكلفين تكون في نوعين؛ أحدهما أهل الجنة الذين تكون آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين قال تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ - دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ

(١) الأعراف الآية١٧٢

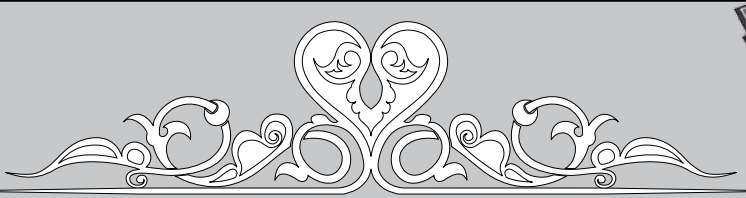

وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١)،

والآخر أهل النار قال تعالى:

﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢)

لحقيق أن يوصف بهذا الوصف، فهو جد كله قد بلغ الغاية القصوى في صدق المحتوى وأمانة البيان لأحوال المكلفين وليس هو هزل ويقيناً ليس بلعب ولا باطل وكيف يكون هذا وهو صادر من رب العزة الذي يقول:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ (٣)

والذي يأمر نبيه بأن يعادي الباطل ورموزه ويجهر بما أمره الله جل جلاله:

(١) يونس الآية ٩ -١٠

(٢) الرعد الآية ٥

(٣) الأنبياء الآية ١٦

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (١)،

والذي يقول

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (٢)

ولا سحر ولا كهانة ولا خرافة فهو تنزيل الحكيم الحميد، وهو الكامل الشامل الذي يجمع المسلمون على أنه الحبل المتين والأصل الأول للشريعة والأمان والمخرج من الفتن والأهواء عن الحارث بن الأعور، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال في حديث طويل: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنها ستكون فتن ! قلت: فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله، فيه خبر ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة رد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين،

(١) الإسراءالآية ٨١

(٢) ص الآية ٢٧

وهـو الصراط المسـتقيم، هو الـذي من عمل بـه أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه دعا إلى صراط.[1]

وحذر أئمة أهل البيت عليهم السلام من الوضاعين الذين يختلقون الأحاديـث وينسـبونها إلى النـبي صلى الله عليه وآله أو إلى الأئمـة عليهم السلام والتزمـوا وألزمـوا أتباعهـم في مواجهة هـذا الأمر بضرورة عـرض الأحاديث على القرآن فما وافق القرآن كان سـليماً ومـا خالفـه كان موضوعاً فقد روى السـكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قـال: قال رسـول الله صلى الله عليه وآله : إن علـى كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه .[2] وعنه عليه السلام قال : ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف .[3]

وعـن هشـام بـن الحكـم وغـيره، عن الإمـام أبـي عبد الله الصـادق عليه السلام قال: خطب النبي صلى الله عليه وآله بمنى فقال: أيها الناس مـا جـاء كـم عـني يوافق كتـاب الله فأنـا قلته ومـا جاء كم يخالف كتاب الله فلم أقله .[4]

(١) تفسير مجمع البيان ج ١ ص ٤٥
(٢) الكافي ج١ ص٦٩
(٣) الكافي ج١ ص٦٩
(٤) الكافي ج١ ص٦٩

وله ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم:

القرآن الكريم كتاب دائم لكل الأزمان وتسري أحكامه على كل الناس، يجري في الغائب كما يجري في الحاضر وينطبق على المستقبل كما انطبق على الماضي، فالآيات التي تمدح أو تذم بعض من يتحلى بصفات ممدوحة أو مذمومة تشمل من تحلى بها ممن عاصر النبي ﷺ، وإن مورد نزول آية ما لا يكون مخصصا لها نفسها، بل هي تنطبق على مصاديق أُخر، فإذا نزلت في شخص ما أو في جماعة ما لا تكون الآية مخصصة لهؤلاء ، بل الآيات سارية في كل المشتركات مع هؤلاء في الصفات التي كانت سبباً لنزولها، عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له إنما أنت منذر ولكل قوم هاد؟ فقال: رسول الله المنذر وعلي الهادي، يا أبا محمد فهل منا هاد اليوم؟ قلت: بلى جعلت فداك ما زال فيكم هاد من بعد هاد حتى رفعت إليك، فقال: رحمك الله يا أبا محمد ولو كانت إذا نزلت آية على رجل ثم مات ذلك الرجل ماتت الآية مات الكتاب ولكنه حي جرى فيمن بقي كما جرى فيمن مضى.[1] وفي رواية عن فضيل بن يسار قال سئلت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية ما من آية في القرآن إلا ولها ظهر

(١) بصائر الدرجات ص ٥١،

وبطـن فقال ظهـره تنزيله وبطنه تأويلـه منه ما قد مضى ومنه ما لم يكن يجري كما يجري الشمس والقمر كما جاء تأويل شـيء منه يكون على الأموات كما يكون على الأحياء قال الله وما يعلم تأويله إلا الله والراسـخون في العلم نحن نعلمه.[1] وهذا الذي ذكرناه معنى من معاني باطن القرآن، وهناك معان أخرى للباطن أجملها الشيخ السبحاني في

ثلاثة وجوه:

١. المقصـود مـن البطـن هـو أن مـا ورد في القـرآن حـول الأقوام والأُمم من القصص، وما أصابهم من النعم والنقم، لاينحصـر علـى أُولئك الأقـوام، بل هـؤلاء مظاهر لكلامه سـبحانه وهـو يعـم غيرهم ممّـن يأتون في الأجيـال فقوله سبحانه:

﴿وضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾

(١) بصائر الدرجات ص ٢١٦

وإن كان وارداً في قوم خاص، لكنّها قاعدة كلية مضروبة على الأُمم جمعاء.

٢ . المراد من بطن القرآن هو الاهتداء إلى المصاديق الخفية التي يحتاج الوصول إليها إلى التدبّر، أو تنصيص من الإمام، ولأجل ذلك نرى أنّ علياً عليه السلام يقول في تفسير قوله سبحانه:

﴿وإن نَكَثُوا أيمانَهُم مِن بَعدِ عَهدِهِم وطَعَنُوا في دِينِكُم فَقاتِلُوا أئِمَّةَ الكُفرِ إنّهُم لا أيمانَ لَهُم لَعَلّهُم يَنتَهُون﴾ : إنّه ما قوتل أهلها منذ نزلت حتى اليوم.

٣. وهناك احتمال ثالث للبطن، وهو حمل الآية على مراتب مفهومها وسعة معناها واختلاف الناس في الاستفادة منها حسب استعداداتهم وقابلياتهم، لاحظ قوله سبحانه:

﴿أنزَلَ مِنَ السّماءِ ماءً فَسالَت أوديةٌ بِقَدَرِها فاحتَمَلَ السَّيلُ زَبَداً رابِياً وَمِمّا يُوقِدُونَ عَلَيهِ في النّارِ ابتِغاءَ حِلية أو متاع زَبَدٌ مِثلُهُ كَذلِكَ يَضرِبُ اللهُ الحَقَّ والباطِلَ فأمّا الزَّبَدُ فَيَذهَبُ جُفاءً وأمّا ما يَنفَعُ

النّاسَ فَيَمكُثُ فِي الأَرضِ كَذلِكَ يَضرِبُ اللهُ الأَمثالَ﴾.[1]

من أمثلة التفسير بباطن القرآن:

ذكر في بعض الرّوايات التي تفسر باطن القرآن: إنّ «الفجر» هو «المهدي المنتظر» عجّل الله تعالى فرجه الشريف.. و«ليال عشر» هم الأئمّة العشر قبله عليه السلام.. و«الشفع» . في الآية . هما عليّ وفاطمة عليهما السلام.[2]

- قال الطباطبائي: في الفقيه، و تفسير العياشي، عن الصادق عليه السلام قال: الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام.[3]

- عن المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط فقال: هو الطريق إلى معرفة الله عزوجل، وهما صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة. وأما الصراط الذي في الدنيا فهو الامام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مر على الصراط الذي هو

(١) المناهج التفسيرية في علوم القرآن ص١٣٥

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج٢٠ ص١٧٤

(٣) تفسير الميزان ج١ ص٤١

جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم.[1]

-عن جابر الجعفي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن تفسير هذه الآية في باطن القرآن ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾[2] يعنى علياً عليه السلام.[3]

ظاهره أنيق وباطنه عميق:

يخبرنا النبي صلى الله عليه وآله بأن ظاهر القرآن الذي هو حجة في نفسه والذي كانت العرب تفهم معانيه من ظواهره له أسلوب عجيب وتراكيب غريبة لا هو من شعر العرب ولا هو من نثرها كما صرحت من هذا المعنى سادة العرب وبلغائهم، وفيه مزايا فاخرة تحيّر الفصحاء بحسنها وتعجب البلغاء من نكاتها ، ومع هذه الظواهر التي يفهمها الناس في عصر النبي صلى الله عليه وآله ومن بعده من الأعصر، فإن فيه باطن لا

(١) معاني الأخبار ص٣٢

(٢) البقرة / آية ٤٠.

(٣) تفسير العياشي ج١ص٤٢

يـدرك غوره، وفيـه من الآيات والبيانات والعلوم ما كلت عن معرفتها العقول وناشـدت لفهمها الناسُ السـيدَ الرسـول، وطلبت من بعده من آله لبيان المراد منه، وقد كان الرسـول يبادر في الإجابة عن الأسـئلة التي تدور في أذهان المسـلمين عن معاني القرآن، فهم وإن كان أغلبهم من العرب الأقحاح لكن اسـتعدادات مواهبهم العقلية لم تكن بمسـتوى واحد بـل كانوا مختلفين فهـذا الصحابي الجليل عدي بن حاتم الطائـي وهو من صميم العرب فهم من قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ (١) إنه تمايز وانكشـاف بين الخيط الأبيض والخيط الأسود في وقـت الفجـر، فأخذ عقالـين أبيض وأسـود وجلعهما تحت وسـادته فجعـل ينظـر إليهمـا فلـم يتبين لـه الأبيض عن الأسـود، فلمـا أصبـح ذهـب إلى رسـول الله ﷺ يخبره بما صنـع فضحك النـبي ﷺ من صنيعه حتى بدت نواجذه ثم قـال لـه إنما ذاك بيـاض النهار من سـواد الليـل، وعن أبي حمـزة الثمالي قال: دخل قاض من قضاة أهل الكوفة على علي بن الحسـين عليه السلام فقال لـه: جعلني الله فداك! أخبرني عن قول الله عزو جل:

(١) البقرة الآية ١٨٧

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) قال له عليه السلام : ما يقول الناس فيها قبلكم؟ قال [القاضي]: يقولون: أنها مكة .

فقال عليه السلام : وهل رأيت السرق في موضع أكثر منه بمكة.

قال [القاضي]: فما هو؟

قال عليه السلام: إنما عنى الرجال.

قال [القاضي]: وأين ذلك في كتاب الله؟

فقال عليه السلام: أو ما تسمع إلى قوله عز وجل: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ وقال: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ وقال: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ أفيسأل القرية أو الرجال أو العير؟

قال: وتلا عليه آيات في هذا المعنى.

قال: جعلت فداك! فمن هم؟

قال: نحن هم.

فقال: أو ما تسمع إلى قوله:

﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ ؟

قال : آمنين من الزيغ.[1]

هذه بعض الشواهد وهناك المزيد أعرضنا عنه، تدل على أن في القرآن معان سامقة سامية ليس لأحد الوصول إليها إلا بدليل مرشد يرشد إليه الله ورسوله ﷺ، إن عدم إدراك المسلمين لقسم من الآيات و العلوم القرآنية لا يمنع من التحرك على ضوء ظاهره والإستفادة منه كما صرح بذلك الأئمة عليهم السلام والعلماء، إلا إن هنالك من توقف في الآيات التي لا نص فيها زاعمين أنه لا يفهم القرآن إلا من خوطب به وأن الأخذ من ظواهر الكتاب الكريم المنزل من الرؤوف الرحيم هو من التفسير بالرأي المنهي عنه كما جاءت به الروايات عن النبي وآله عليهم السلام ، وقد رد على هذا الزعم علماؤنا الأعلام وأفاضوا فيه القول والدليل عليه، وهنالك من رفضوا الأخذ بالظواهر القرآنية وزعموا أنها غير مرادة لله سبحانه وتعالى فأخذوا بالباطن وتركوا الظاهر وفسروا

(١) الاحتجاج ج ٢ ص ٤١ - ٤٣

القرآن بتفسير لا يمت إليه بشيء، ومن أمثلة تفسيرهم للقرآن إنهم أوّلوا المفاهيم الإسلامية بالنحو التالي:

١. الوضوء عبارة عن موالاة الإمام.

٢. التيمم هو الأخذ المأذون عند غيبة الإمام الذي هو الحجة.

٣. والصلاة عبارة عن الناطق الذي هو الرسول بدليل قوله تعالى في الآية ٤٥ من سورة العنكبوت:

﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾

٤. والغسل تجديد العهد فمن أفشى سراً من أسرارهم من غير قصد، وإفشاء السر عندهم على هذا النحو هو معنى الاحتلام

٥. والزكاة هي تزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدين

٦. والكعبة النبي

٧. والباب علي

٨. والصفا هو النبي

٩. والمروة علي

١٠. والميقات الإيناس.

١١. والتلبية إجابة الدعوة

١٢. والطواف بالبيت سبعاً موالاة الأئمة السبعة

١٣. وا لجنة راحة الأبدان من التكاليف

١٤. والنار مشقّتها بمزاولة التكاليف.[١]

في قبال جمود الفئة الأولى وجفاف تفكيرهم، وكذلك في قبال الانحرافات الباطنية ومفاهيمهم الخاطئة وأمثالهم، هناك السبيل الوسط وهو التأمل والتدبر الخالص المنصف، فإن القرآن يدعو المؤمنين على التفكر بآياته، ويطلب التأمل دائماً بآياته فيقول: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[٢]

(١) المواقف نقلاً عن المناهج التفسيرية ص١١٧

(٢) ص الآية ٢٩

له نجوم وعلى نجومه نجوم:

يصرح القرآن الكريم أن خلق الأشياء داخل تحت حكمة عالية متقنة، ولم يُخلق ولم يخلق شيء في هذا الكون الفسيح إلا بفائدة ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ - لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (١) ومن تلك الموجودات النجوم، فإن من فوائدها -فضلاً عن أثرها في النظام الكوني- الهداية للمسالك وا لجهات فإن سالك الصحراء وراكب البحر يستهدي بالنجوم في الليالي الظلماء وهذه الصورة استعارها النبي ﷺ في وصف آيات القرآن الكريم بالنجوم لتوقف هداية المجتمعات الإنسانية ووصولها إلى أعلى مدارج الكمال والسعادة على القرآن ولكن هذه الآيات تحتاج إلى آيات أخر لبيانها وهذه الأخر أما أن تكون هي آيات قرآنية تفسر ما أجمل في آية، وما اختصر في آية تبسط بيانها آية أخرى ومن أمثلة هذا الوجه قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ

(١) الأنبياء الآية ١٦-١٧

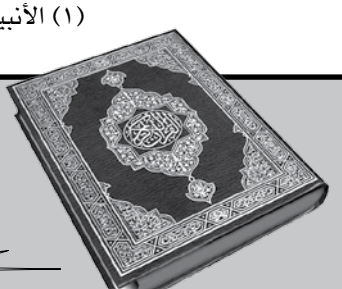

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١)

وقد فسر الإيمان بالرسول الأكرم ﷺ في آية أخرى بالتسليم له والطاعة والاتباع قال تعالى:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢)

وأوضح الاتباع فقال:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣)،

وأما أن يكون المقصود من النجوم هم آل البيت عليهم السلام وقد أوضحهم النبي ﷺ في خطبة له [نأخذ موضع الشاهد]:

(١) الحديد الآية ٢٨

(٢) آل عمران الآية ٣١

(٣) الأعراف الآية ١٥٧

نظر الله سبحانه إلى أهل الأرض نظرة واختارني منها ثم نظر نظرة فاختار علياً أخي و وزيري ....[إلى أن قال] ثم إن الله نظر نظرة ثالثة فاختار من أهل بيتي بعدي، و هم خيار أمتي، أحد عشر إماماً بعد أخي واحداً بعد واحد، كلما هلك واحد قام واحد، مثلهم في أهل بيتي كمثل نجوم السماء، كلما غاب نجم طلع نجم إنهم أئمة هداة مهديون.... [إلى أن قال] هم مع القرآن والقرآن معهم لايفارقهم ولا يفارقونه حتى يردوا علي حوضي.[1]

وهذا الشطر هو المرجح لنص النبي ﷺ عليه، وهناك شواهد أخرى تدل عليه مثل قوله ﷺ: النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض، وقوله ﷺ : النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة اختلفوا، فصاروا حزب إبليس. مع هذه النصوص عن النبي ﷺ توجد نصوص تعضدها يصرح فيها الأئمة عليهم السلام وهم الصادقون بأنهم خزان علم الله وتراجمة وحيه والحجج

(١) الغيبة للنعماني ص٨٦

البالغة، ومن علم الله المنزل على نبيه ﷺ الذي أورثه لآله عليهم السلام القرآن الكريم[1].

شواهد روائية:

عن عبد الرحمن بن كثير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : نحن ولاة أمر الله ، وخزنة علم الله وعيبة وحي الله.[2] عن سورة بن كليب قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: والله إنا لخزان الله في سمائه وأرضه ، لا على ذهب ولا على فضة إلا على علمه.[3] عن سدير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك ما أنتم ؟ قال : نحن خزان علم الله ، ونحن تراجمة وحي الله ، ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض.[4] وجرت مناظرات كثيرة بين الأئمة عليهم السلام ومخالفيهم أثبت فيها الأئمة أنهم عدل القرآن

(١) - في الكافي عن سماعة ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قلت له :أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ أو تقولون فيه ؟ قال: بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ

(٢) الكافي ج ١ - ص ١٩٢

(٣) الكافي ج ١ - ص ١٩٢

(٤) الكافي ج ١ - ص ١٩٢

ووعاته وخزنته، ومنها:

١- دخل ابن أبي سعيد المكاري على الرضا صلوات الله عليه فقال له: أبلغ الله من قدرك أن تدعي ما ادعى أبوك؟ ! فقال له: ما لك أطفأ الله نورك وأدخل الفقر بيتك؟ أما علمت أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى عمران عليه السلام أني واهب لك ذكرا فوهب له مريم ووهب لمريم عيسى فعيسى من مريم ومريم من عيسى ومريم وعيسى شيء واحد ، وأنا من أبي وأبي مني وأنا وأبي شيء واحد فقال له: ابن أبي سعيد فأسألك عن مسألة ؟ فقال: لا أخالك تقبل مني ولست من غنمي ولكن هلمها . فقال: رجل قال عند موته: كل مملوك لي قديم فهو حر لوجه الله . فقال : نعم ، إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه : " حتى عاد كالعرجون القديم فما كان من مماليكه أتى له ستة أشهر فهو قديم حر»[1]

٢- سأل نافع بن الأزرق الإمام الباقر عليه السلام عن مسائل منها قوله تعالى: «واسئل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون» من الذي يسأله محمد ، وكان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة ؟ قال فقرأ أبو جعفر عليه السلام

(١) معاني الأخبار ص ٢١٨ - ٢١٩

«سبحان الذي أسرى بعبده ليلا» ثم ذكر اجتماعه بالمرسلين والصلاة بهم.[1]

٣- دخل عمرو بن عبيد على الصادق عليه السلام وقرأ «إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه» وقال: أحب أن أعرف الكبائر من كتاب الله فقال: نعم يا عمرو ثم فصله بأن الكبائر الشرك بالله «إن الله لا يغفر أن يشرك به» واليأس «ولا تيأسوا من روح الله» وعقوق الوالدين لأن العاق جبار شقي «وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا». وقتل النفس «ومن يقتل مؤمنا متعمدا» وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما» والفرار من الزحف «ومن يولهم يومئذ دبره». وأكل الربا «الذين يأكلون الربا» والسحر «ولقد علموا لمن اشتريه» والزنا «ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما» واليمين الغموس «إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا» والغلول «ومن يغلل يأت بما غل» ومنع الزكاة «يوم يحمى عليها في نار جهنم» وشهادة الزور وكتمان الشهادة «ومن يكتمها فإنه آثم قلبه».... إلى آخر كلامه عليه السلام، فخرج عمرو وله صراخ

(١) أنظر بحار الأنوار ج ١٠ - ص ١٥٨

مـن بكائه وهو يقول : هلك من سـلب تراثكـم و نازعكم في الفضل والعلم..[1]

لا تحصى غرائبه ولا تبلى عجائبه:

يبقـى الاحتيـاج إلى فهـم وتفسـير القـرآن قائمـاً مـا قامـت السـموات والأرض بوصفـه الدسـتور الإلهي الخالد الضامن لحياة البشـرية والسـد المنيع في مواجهة التيارات الفكريـة المختلفة والمرجع الأولي في التأسـيس للمجتمع، وقـد مـر التفسـير بمراحـل وأخـذ بالتنـوع وظهـرت رؤى ومدارس مختلفة وشـاهدت ساحة القرآن التفسيرية مئات التصانيـف وكتب في القرآن الآلاف وزاد العلماء اهتمامهم كلما ضغطت واشتدت عليهم الأمور ورجعوا إليه في الألواء والمحـن فالمتكلـم في احتجاجه يرجـع إلى القرآن والنحوي كذلـك ويستشـهد الأديـب بـه ويأخذ الشـاعر الصـور عنه ويسـتدل الفقيه به كل حسـب طاقته وعلمه، ثم أن الأقلام التي فسـرته أخذ كل منها بعدا فكانت هناك تفاسـير أدبية

(١) أنظر بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٢١٦

وتفاسير علمية وأخلاقية وأشارية وعرفانية وتأريخية حتى يمكن أن تعد أنواع التفسير إلى عشرة أنواع أو أكثر، ويقول صاحب تفسير الأمثل «واضح أنّ كلّ هذه التفاسير في الوقت الذي تعتبر فيه تفسيراً للقرآن، إلاّ أنها ليست تفسيراً للقرآن، لأنّ كلّ واحد منها يميط اللثام عن بُعد من أبعاد القرآن لا عن كلّ الأبعاد، وحتى لوجمعناها لتجلى من خلالها بعض أبعاد القرآن لا جميع أبعاده، ذلك لأنّ القرآن كلامُ الله وفيض من علمه اللامتناهي، وكلامه مظهرٌ لعلمه، وعلمه مظهرٌ لذاته، وكلّها لا متناهية، من هنا لا ينبغي أن نتوقع استطاعة البشر إدراك جميع أبعاد القرآن، فالكوز لا يسع البحر»[1]

ويؤكد هذا المعنى ما روي عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام حيث يقول:«آيات القرآن خزائن، فكلما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها»[2]

إذ فيها من المعاني جواهر، والأسرار التي تقصر العقول عنها وتعجز وفيها من الحقائق التي تظهر للطالبين وفيه

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج١ ص٧

(٢) الكافي ج٢ ص٦٠٩.

أصناف الفوائد والدقائق ولذلك كان القرآن مع قلة لفظه وصغر حجمه مشتملاً على جميع ما كان وما هو كائن، وما يكون إلى يوم القيامة كما مر ذكره.

فيه مصابيح هدى ومنار الحكمة ودليل المعرفة لمن عرف الصفة فليجل جال بصره وليبلغ نظره:

في هذه الجملة حدد النبي ﷺ كيفية إثبات الحقائق وذلك بإرجاع نتائج العلوم إلى القرآن لا أن تكون هي الحاكمة عليه، وأشار إلى أن الدخول إلى عالم القرآن لا يكون إلا بمقدمات ليتسنى لطالب الحقيقة التمعن والتدبر ثم البيان له وعلى هذا وضع العلماء المفسرون علوماً جمة مقدمات، لفهم حقائق القرآن وكشف أسراره و الوصول إلى معانيه ومراميه، وعلى الرغم من كل مابذلوه في هذا الشأن لم يزل المفسرون في كل عصر يستخرجون منه حقائق لم يلتفت إليه من كان قبلهم، «وكأن القرآن هو النسخة الثانية لعالم الطبيعة الذي لم يزل يبحث عن أسراره الباحثون،

وهم بعد في الأشواط الأولى من الوقوف على حقائقه الكامنة، ولا غرو أن يكون الكتاب العزيز كذلك أيضا ، لأنه كتاب صدر من لدن حكيم عليم لا نهاية لوجوده وعلمه ، فيجب أن يكون كتابه المنزل رشحة من رشحات وجوده» نعم كأن القرآن نسخة لعالم الطبيعة بل هو نسخة عن عالم الوجود وهذه النسخة في بعض الأحيان تفصل وفي بعض الأحيان تجمل وتؤشر، وعليه يجب على المفسر أن يتحلى بمجموعة من الصفات قبل الولوج في هذا العالم العظيم فيتحلى بالآداب الموضوعية فلا يكون معتداً برأي، وينساق وراء النتائج، متحلياً بالنزاهة والحيادية، تابعاً للحقيقة الموضوعية، متجرداً عن التعصب، بعيداً عن الأنانية الفردية، وهناك آداب أخرى وهي الآداب النفسية وهي مجموعة الصفات والملكات التي يتنامى بها الكمال الذاتي مثل صحة الاعتقاد والإيمان بأن هذا الكتاب منزل من الله جل وعلا هذا أولاً، وثانياً الإخلاص والتفويض وإذا كان الإعتقد خالصاً تسامت النفس الإنسانية من النقائص ولا سيما إذا كان اقتران الإخلاص بالتوكل، وثالثاً التدبر في آيات الكتاب العزيز، وهناك أمر في غاية الأهمية وهو

الآداب الفنيــة والعلمية التي هي مجموعة العلوم والفنون التي يتدرع بها المفســر لخوض التفسـير وقد عدها العلماء وأنهوها إلى خمسة عشر علماً.. يجب على المفسر أن يتقنها وهي:

١- اللغة ٢- النحو ٣- التصريف ٤- الاشتقاق ٥- المعاني ٦ - البيــان ٧- البديــع ٨ - القــراءات ٩ - أصول الدين ١٠- أصــول الفقــه ١١- أســباب النــزول والقصص ١٢- الناســخ والمنســوخ ١٣- الفقه ١٤- الأحاديث المبينة لتفســير المجمل والمبهــم ١٥- علم الموهبة وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم.

وقد طرح البعض مقولة مفادها الاشتراط باطلاع المفسر علــى حــد معين من العلــوم التجريبية قبــل أن يبدا بعمله التفســيري أو يقارنــه، وذلــك باعتبار تناول القــرآن الكريم لمجموعــة مــن القضايا الطبيعية الــتي يتوقف فهمها على هذا الاطلاع .

وأجيب على هذه المقولة: بأن لا ضرورة لاشتراط ذلك في المفسر، باعتبار أن القرآن الكريم عندما تناول هذه القضايا

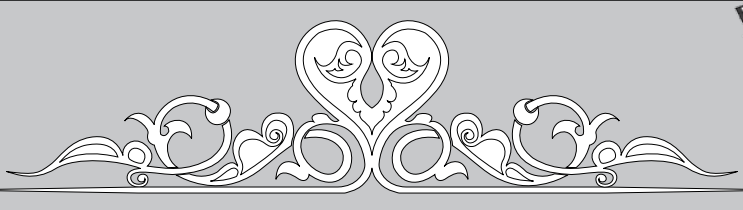

الطبيعية تناولها على أساس أنها ظواهر يدركها الإنسان ويلاحظها بحسه، ومن خلالها أريد له الإنتقال والاستدلال على بعض القضايا والحقائق العقائدية كوجود الله والمعاد وغيرها، وذلك لأن الهدف الاساس للقرآن الكريم ليس هو تناول هذه العلوم وبحثها والسعي لأن يتكامل الإنسان فيها، بل ترك أمرها للإنسان نفسه يبحث فيها ويتكامل إن شاء من خلال التجربة، وذلك بخلاف الدين والشريعة الذي ارتبط أمره بالسماء ، ولايمكن للإنسان أن يتكامل فيه من خلال التجربة، بل لا بد من الوحي الإلهي فيه .

وعلى هذا الأساس فإن العلوم والمعارف الطبيعية التي تحتاج إلى تجربة وفن وجهد لا تحتاجها عملية التفسير ولا تكون مكملة لها .

بل يمكن أن نضيف هنا: أن الخلفية التجريبية العلمية باعتبارها خلفية ناقصة دائما فإنها لا تصل إلى حد اليقين القطعي. إلا بشكل محدود. الذي لايكون هناك مجال لاحتمال خلافه إطلاقاً، ومن هنا نجد التجديد والتغيير في النظريات العلمية التجريبية بسبب أن وسائل

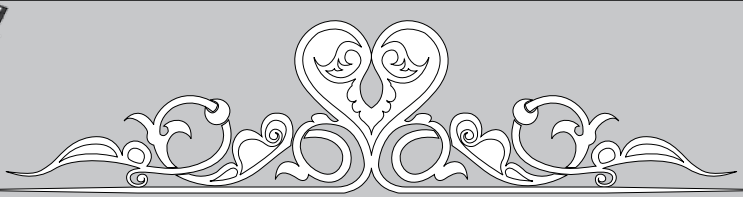

الإثبات فيها غالباً ما تكون ناقصة، وعلى هذا فإنه من غير الصحيح أن تحمل هذه الخلفية الناقصة على فهم القرآن الكريم وتفسيره، وذلك لأن القرآن الكريم مصدره الغيب الإلهي، والله مطلع على كل الحقائق وبدون أي احتمال للخطأ، وتبقى التجربة معرضة للخطأ لأنه مهما روعيت فيها مسائل الدقة والضبط والاحتراز فإنه قد يبقى فيها جانب ناقص كما أشرنا، ومن ثم فإنه قد يكون للغيب معنى لم تتوصل إليه التجربة في الظاهر لنقصانها، فإذا أريد تفسيره في ضوء نتائجها المحدودة نقع في الخطأ والاشتباه.

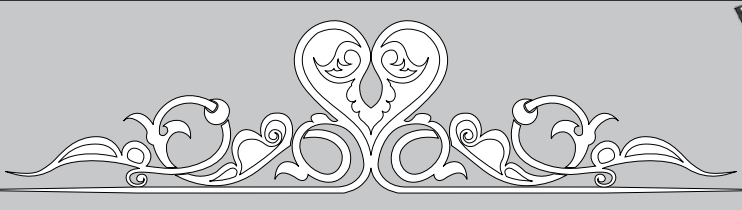

ينج من عطب ويتخلص من نشب فإن التفكر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور:

بعد أن يتسلح طالب القرآن بما وضعه العلماء من مقدمات ويؤمن أن القرآن هو الحاكم على النتائج فإنه ينجو من المهالك لتمييزه بين الحق والباطل والضلالة والهداية لأنه ثابت على نهج الحق مستمسك بالثقل الأكبر الذي وصله من خلال ما تدرع به من علوم وانتهج في الوصول بالثقل الأصغر فكان تابعاً لسبيل الرشاد، لا يَعْلق بين شبهات الضلالة ولا يكون أسيراً للغواية وذلك لأنه تفكر بالنهج الأقوم وسلك سبيل النور فلا ظلمات حين حلول النور في المكان، وكما أن كثيراً من الموجودات تتنعم عند حلول نور الشمس عليها فإن قلب الإنسان إذا أشرق عليه نور القرآن أحياه قال تعالى:

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١)

(١) الأنعام الآية ١٢٢ .

فحيـاة الإنسـان هي بالإيمان وأسـرع طريـق للإيمان هو القـرآن، ونقول هـذا لأن الإيمان متوقف علـى قوة الدليل المحاكـي ولا نجـد مسـتدلاً أثبـت مـراده مثل القـرآن فإنه حاكى الفطرة وناغم العقول ببيانه.

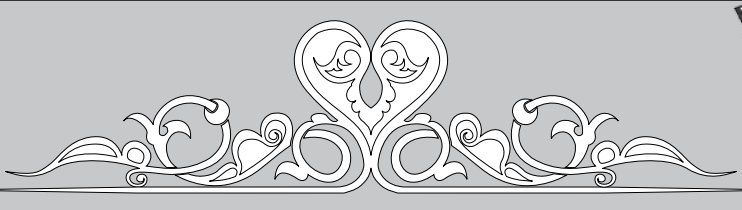

فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص:

ثم إن الرسول الأكرم ﷺ أوجز النتيجة بعد بيان الطريق الذي يتبع للوصول إلى مرضاة الله جل وعلا قائلا: «فعليكم بحسن التخلص» أي بحسن النجاة من الباطل وأن لا يمكث على المعصية ويسوف التوبة، وأكد على أن لايقيم عند الشبهة ويهرب منها فإن الفرار واجب، «وقلة التربص» وإنما التربص الضروري هو قدر أن يحصل العلم بالحق ، ويكفي في حصول العلم أدنى تفكر ومراجعة.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتمسكين بالقرآن الكريم ومن الذين يعملون على منهجه وأحكامه وتعاليمه والانتقال بها من النظرية الى التطبيق لتنعكس أخلاق القرآن الكريم على سلوكنا وتعاملنا في حياتنا اليومية، والحمد لله أولا وآخراً

الفهرس

المقدمــة ٣

توطئــة ٥

الخطبــة ٧

شــافع مشــفع ٨

ماحل مصدق ١٧

ومن جعلــه أمامه قاده إلى ا لجنة ٢٠

ومن جعله خلفه ســاقه إلى النــار..... ٢٦

وهو الدليل علىخير ســبيل.....٣٤

وهو كتاب فيه تفصيــل..... ٣٨

وهــو الفصل ليــس بالهــزل ٤١

ولــه ظهــر وبطــن ٤٥

من أمثلة التفسير بباطن القرآن ٤٨

ظاهره أنيق وباطنه عميق..... ٤٩

له نجوم وعلى نجومه نجوم..... ٥٥

شواهد روائية ٥٨

لا تحصى غرائبه..... ٦١

فيه مصابيح هدى..... ٦٣

ينج من عطب..... ٦٨

فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص ٧٠

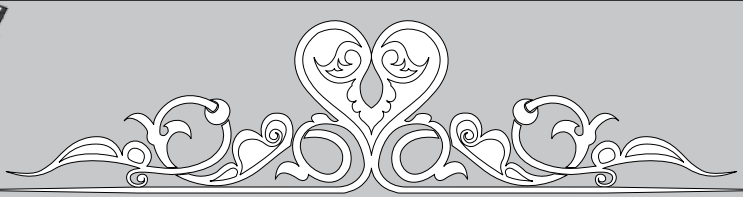

ونحن إذ نعيش شهر رمضان المبارك شهر القرآن الكريم لا بد أن نتزود من نفحات كتاب الله العزيز الذي قال فيه رسول الله ﷺ في فضل قراءته في هذا الشهر: (ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشّهور)، وللقرآن الكريم كرامة وفضلا يجب الالتفات إليه، حيث قال الإمام علي عليه السلام في صفة القرآن: (جعله الله ريا لعطش العلماء، وربيعا لقلوب الفقهاء، ومحاج لطرق الصلحاء، ودواء ليس بعده داء، ونورا ليس معه ظلمة) وقال عليه السلام: (إن الله سبحانه لم يعظ أحدا بمثل هذا القرآن، فإنه حبل الله المتين وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب، وينابع العلم، وما للقلب جلاء غيره) وقال عليه السلام: (الله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم)، فالقرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب وكل هذه الأحاديث تلقي علينا مسؤولية وعلى كل مؤمن ومؤمنة وهي ملازمة القرآن الكريم تلاوة وتعلّما وتطبيقا.